الإسلام دين الوحدة والإتّحاد ومنهج القصد والاعتدال

الإسلام دين الوحدة والإتّحاد ومنهج القصد والاعتدال

فضيلة الشيخ عبدالرحمن الأشرفي

رئيس الجامعة الأشرفية في باكستان

بسم ا الرحمن الرحيم

الاسم دين الوحدة والاتحاد، لا يجمع بين مختلف المسالك والمذاهب فحسب بل الإنسانية كلها. ان القرآن الكريم يعين وحدة النوع الإنساني رغم تنوع أعراقه ومواطنه كما جاء في القرآن الكريم: (يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند ا أتقاكم).

اننا اذا تمعّنا النظر في فهم هذه الشريعة واحكامها التي تقيم الوجود البشرى على الحِكم والمصالح العامة والعدل والرحمة وكل المثل العليا.

قال الامام ابن القيم (رحمه ا):

«ان الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، ومن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة، - وان دخلت دخلت فيها بالتأويل - فالشريعة عدل بين عباده، ورحمة بين خلقه. فهي بالحياة والغذاء والدواء.. وكل خبر في الوجود فانما هو مستفاد منها..».

ان الدين الاسلامي يربط بين قلوب معتنقيه بأواصر لا تنفصم من المحبة والأخوة والتّراحم. ورابطة الايمان باﷲ وبالرسول لاتَعدلُها أي رابطة أخرى من نسب أو جنس أو لون أو لغة أو جوار أو مصالح مشتركة. الاسلام ينظر إلى كل هذه الروابط بأنها روابط سطحية لاتكاد تجمع حتى تفرق - اذا اختلفت الأهواء وتصادمت النزعات، وتضاربت المصالح. بل لا تزال تتخلل هذا الروابط الشكلية حواجز كبيرة، من إختلاف النفوس، وتمايز العناصر، وتفصل بينها الفجوات المختلفة التي تباعدها عن الوحدة والوئام، حتى تشدها أصرة الاخوة في الايمان باﷲ وبرسوله. على هدى وبصيرة، ومحبة وتعاون، ومشاركة في المثل العليا.

وبفضل هذا الايمان تذوب الفوارق مهما عَظُمَت وتتقارب الديارُ مهما تنائت وتسودها مبادئ الحق الثابت الخالد، الذي لا يتغير أو يزول.. وفي ذلك قال اﷲ سبحانه وتعالى: (هو الّذي ايّدك بنصره وبالمؤمنين، وألف بين قلوبهم لو انفقت مافي الأرض جميعا ما الّفت بين قلوبهم ولكن اﷲ ألف بينهم انه عزيز حكيم).

ان الايمان باﷲ وبرسوله ينافيان كل نوع من أنواع التفرق الذي يقضي على هذه الوحدة والاتحاد. ويعتبر الاسلام المؤمنين كيانا عضويا واحدا تسرى فيه روح المودة والرحمة والتعاطف، كما روى عَن النعمان بن بشير (رضي اﷲ عنه) قال: قال رسول اﷲ (صلى اﷲ عليه وآله):

«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

ولذا فقد تخطى الاسلام كل الاوضاع التي درج الناس فيها على اتخاذ العصبيات الجنسية أو الاقليمية الاساس في تكوين الجماعات، وجعل الاعتصام باﷲ والاخوة في العقيدة الرباط القوي الذي لا ينفصم، ومبدأ الخير والرحمة والعدل، وسبيل السعادة والطمأنينة والسلام للبشرية جمعاء.. وفي ذلك يقول عزوجل: (ومن يعتصم باﷲ فقد هُدِىَ إلى صراط مستقيم).

يكتب مؤلف شهير:

وقد حذّر الاسلام من مولاة أعداء الله بسبب رابطة من نسب أو قرابة او صداقة او مصالح شخصية أو منافع خاصة، وجعل الولاء للعقيدة وحدها، ودعا إلى اعتبارها المعيار الوحيد للعلائق بين الناس، ولم يعتبر الذين يوالون من حاد الله ورسوله من المؤمنين، ولو كان هؤلاء الذين يوالونهم من أقرب الناس اليهم رحماً أو قرابة ونسباً. وذلك حيث يقول عزوجل:

(لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو ابناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم).

ويقول سبحانه وتعالى: (يا أُيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون).

وقال الله سبحانه في مقام آخر:

(يا أيّها الّذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحقّ).

فالاسلام يحذّر من موالاة اعداء الله من يد ومن اخرى يحرص على صيانة الايمان بالله وبرسوله. ويعتبر أي دعوة إلى العصبية المفرقة هدما لروح الاخوة الاسلامية واثارة للأوضاع الجاهلية التي حاربها الاسلام وقضى عليها. قال الله سبحانه وتعالى: (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبيّن الله لكم آياته لعلكم تعقلون).

واخيرا يا ايها الاخوة اذكر حديثين:

«عن أبي ذر (رضي الله عنه) قال: «كان بيني وبين رجل كلام وكانت أمه أعجمية فنلتُ منها، فذكرني إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فقال لي: أسابت فلانا؟ قلت: نعم قال: أفنلت من أمه؟ قلت: نعم. قال: انك امرؤ فيك جاهلية».

وروى أن ابا ذر تاب توبة نصوحا حتى انه طلب من هذا الذي قال له: يا ابن السوداء - أن يطأ بقدمه على وجهه.

روى الحافظ ابن عساكر:

«جاء قيس بن مطاطية إلى حلقة فيها سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي، فقال: هذا الاوس والخزرج قد قاموا بنصرة هذا الرجل فما بال هذا فقال إليه معاذ بن جبل (رضي ا عنه) فاخذ بتلابيبه ثم أتى النبي(صلى ا عليه وآله) فاخبره بمقالته، فقام النبي(صلى ا عليه وآله) مغضبا يجر رداءه حتى أتى المسجد ثم نودي: ان الصلاة جامعة، وقال(صلى ا عليه وآله): يا أيّ ُها الناس، ان الرب واحد، والأب واحد، وان الدين واحد، وليست العربية بأحدكم من اب ولا أم، وإنّ َما هي اللسان، فمن تكلم بالعربية فهو عربي «فقام معاذ فقال: فما تأمرني بهذا المنافق يا رسول ا؟ قال: «دعه إلى النار» فكان قيس هذا ممن ارتد في الردة فقتل.

فيا أيها الإخوة. ان ديننا يوصينا المحبة والاحترام للرأي آخر.. وعلى الأقل يجب علينا إذا أردنا أن يسود المحبة ألا نسوء الظنّ َ بأحد ولا نعيب احداً.

أدعو ا العلي القدير ان يوفّقنا لما يحب ويرضى.

والسلام عليكم ورحمة ا وبركاته.